

تطور التأثير البريكاني حتى عام 1945

قبل الذهاب في مراجعة التأثير البريكاني حتى عام 1945 يجب أن أقدم للقارئ نظرة عامة للإمارات من النواحي الجغرافية، الطبيعية والسكانية مع نظرة موجزة لنشوء الإمارات والجذور التاريخية.

الإمارات: التاريخ والسكان

الإمارات العربية المتحدة (الكيان السياسي الحالي للإمارات) تقع في شبه جزيرة العرب ، يحدها من الشمال والشمال الشرقي مياه الخليج العربي، ومن الغرب قطر والمملكة العربية السعودية، ومن الجنوب سلطنة عُمان وأيضاً المملكة العربية السعودية ومن الشرق خليج عُمان وسلطنة عُمان ومساحتها الإجمالية 600ر83كم2

تطل سواحلها على الساحل الجنوبي للخليج العربي وتمتد لحوالي 644 كم من شبه الجزيرة القطرية حتى رأس مسندم في الشرق، على هذا الساحل توجد إمارات أبوظبي، دبي، الشارقة، عجمان، أم القيوين ورأس الخيمة بينما ساحل الإمارة السابعة ، الفجيرة، يمتد على ساحل خليج عُمان بطول 90 كيلومتر، تقع الإمارات في المنطقة ما بين خطي العرض 22 و 26 درجة شمالاً وخطي الطول 51 و 56 درجة شرق جرينيتش، أي أنها تقع ضمن الإقليم الصحراوي الحار حيث الأمطار شحيحة ودرجة الحرارة مرتفعة تصل إلى 27 درجة مئوية وينتج عن ذلك ضمور في الإنتاج الزراعي والحيواني وقلة في عدد السكان مقارنة بالمساحة.

تتباين سمات التضاريس في الإمارات ، فعلى الرغم من أن منطقتها في الغالب صحراوية تغطيها الكثبان الرملية، فهناك الأراضي الساحلية حيث نجد المدن الرئيسية بالإضافة للمناطق الجبلية في إمارتي رأس الخيمة والفجيرة وفي مدينة العين التابعة لإمارة أبوظبي، هناك أيضاً بعض الأراضي الزراعية الموزعة في منطقة العين وإمارتي رأس الخيمة والفجيرة وبلدية الزيد التابعة لإمارة الشارقة، أخيراً هناك الجزر التي يبلغ عددها حوالي 200 جزيرة أكثرها شهرة هي صير بنياس، دلما، أم النار، داس، طمب الكبرى، طمب الصغرى وأبوموسى (الجزر الثلاث الأخيرة تحتلها إيران)

قبل إكتشاف النفط كان مجتمع الإمارات يضم مجموعات غير متجانسة من البشر تأثرت بتنوع التضاريس بدرجة كبيرة وإنقسم

مجتمع الإمارات إلى:

- البدو القاطنين في الصحراء: ويعتمدون في حياتهم على الرعي والترحال من مكان لآخر، وكانت المجموعات الأكثر أهمية تقيم في واحة ليوا في إمارة أبوظبي، بينما المجموعات التي كانت تقيم في منطقة العين ، إمارة أبوظبي، شبيهة نوع ما بتلك التي تقيم في ليوا، وهناك واحات أخرى تشمل واحة الزيد في الشارقة.

- **الحضر المقيمين في المدن الساحلية:** يعتمدون في حياتهم على البحر، ومعظم الأعمال التي إمتنوها كانت تتصل بالبحر مثل الغوص، صيد وتجارة اللؤلؤ، صيد السمك وبناء السفن.
- **سكان السهول الخضراء:** وتركز هؤلاء في سهل ساحلي يسمى الشماليلا يمتد من الفجيرة إلى مدينة ديبا ويطل على خليج عُمان بالإضافة لبعض الأجزاء من رأس الخيمة، وهم يشبهون السكان الحضر ويعملون في الزراعة.
- **الجباليين:** وأكثر هؤلاء شهرة هم قبائل الشهوة المقيمون في القمم الجبلية ورأس موساندم، ويتميزون عن المجموعات الأخرى بسماتهم الجبلية الخاصة بهم.
- **قاضي الجزر:** يقيمون في الجزر مثل دلماء، صير بن ياس، صير بو نعير، أبوموسى والجزر الأخرى، وتدور حياتهم حول البحر.
- **مجموعات عربية تنتقل ما بين السواحل العربية والفارسية وهؤلاء هم عرب تركوا أوطانهم في ساحل الإمارات أو باقي ساحل الخليج العربي وانتقلوا للساحل الفارسي حيث شيّدوا القرى والمدن وبقي هؤلاء العرب الإماراتيين ينتقلون ما بين السواحل العربية والفارسية.**

إن سكان الإمارات ينتمون من ناحية النسب للإصول العربية القديمة، حيث الأغلبية العظمى منهم ترتبط بموجتي هجرة رئيسيتين للمنطقة حدثت قبل الحقبة المسيحية، الأولى جاءت من قلب الجزيرة العربية وكان أولئك المهاجرين يعرفون بإسم "النزاريين" بينما جاءت موجة الهجرة الثانية للمنطقة حوالي سنة 120 قبل الميلاد في أعقاب إنهيار سد مأرب حيث جاء المهاجرون من جنوب غرب الجزيرة العربية وكانوا يعرفون بإسم "القحطانيين"، ومن هاتين الهجرتين إنحدرت قبائل اليمينيون والنزاريون التي بدورها إنقسمت لقبائل فرعية وعشائر متخذة أسماء الشيوخ والقادة المشهورين والمناطق حيث يقيمون ونتج عن ذلك المئات من الأسماء القبلية التي تشكل في مجموعها سكان الإمارات.

إن المنظومة الإجتماعية والسياسية والثقافية في مجتمع الإمارات قائمة على أساس وحدة القبيلة ، حيث لكل إمارة مجموعة متنوعة من القبائل ذات التنظيم المعقد والتي يعتز أعضاءها بالإنتماء إليها، ومع مرور الوقت إنتشرت هذه القبائل في مختلف المناطق في الإمارات وحدث التداخل بينها 9 – ومن بين القبائل الأكثر أهمية من ناحية الكثافة في المنطقة هي:

- **أبوظبي:** بن ياس (آل بوفلاح، مزروعى، سودان، آل بومهير، هواميل، قبيسات، آل مار، رميثات) مناصير وآل عوامر
- **دبي:** آل بوفلاسا – آل مكتوم ينحدرون من هذه القبيلة، سودان وآل مار
- **الشارقة:** القواسم، المزروعى، آل بونعيم، بني كتاب، آل علي، النقبي، الشامسي، الطنجي
- **رأس الخيمة:** القواسم، سودان، آل علي، آل مار، مزروعى، آل بونعيم، الزعاب، شوهول، الحبوس
- **عجمان:** آل بونعيم، سودان، آل بومهير
- **أم القيوين:** آل علي
- **الفجيرة:** الشرقي

مجموعات أخرى غير عربية جاءت من شبه القارة الهندية، فارس والسواحل الأفريقية، وعاشت بين تلك القبائل. ونسبة للطبيعة الصحراوية للمنطقة وقلة الموارد الطبيعية قبل إكتشاف النفط إتجه السكان على إختلاف مشاربهم ناحية البحر الذي شكل مصدرا رئيسا لحياتهم، فمارسوا صيد اللؤلؤ، بناء السفن، النقل البحري والتجارة مع الهند، شرق أفريقيا وأماكن أخرى وصيد السمك، الزراعة وبعض الحرف الأخرى.

الإمارات: النشأة والجذور

إكتنف الغموض تاريخ المنطقة التي توجد فيها الإمارات اليوم، معظم الدراسات حول تاريخ الإمارات تبدأ عادة بتاريخ بعد القرن الثامن عشر غير أن هذه المنطقة وبلا شك قد شهدت نشوء حضارات قديمة، إكتشافات أثرية في المنطقة تبين صورا لمحاولات مبكرة لبناء سفن والعمل في مهنة الملاحة بصفة خاصة وصيد اللؤلؤ ، هناك العديد من المراجع حول المحطات التجارية في الإمارات في كتابات الرحالة والجغرافيين في العصور الوسطى مثل جلغر، خورفكان، كلبا وآخرين، كانت المنطقة أيضا مشهورة بصناعة النحاس في إزمنة قديمة حيث وجدت مواقع لصهر النحاس في مدينة الهيلي التابعة لإمارة أبوظبي، شهدت الحفريات على حقيقة أن جزيرة أم النار كانت الميناء لتصدير هذه المعادن لبلاد سومر والحضارات المحيطة بالمنطقة.

في فجر الإسلام في الجزيرة العربية كانت المنطقة التي هي الإمارات و عُمان اليوم تعرف بإسم الغبراء أو الغبيرة، بعث الرسول (صلعم) عمر ابن العاص لشعوبها التي إعتنقت الإسلام طائعة وعند مجي الخلافة الأموية ووقوع فتنة الخوارج، كانت عُمان الملاذ للخوارج من بطش الأمويين حيث ساعد بعدها عن مركز الخلافة الأموية في ذلك وهذا هو السبب في الوجود المكثف لمذهب عبادي في عُمان حتى اليوم، وبعد نشوء الخلافة العباسية أصبح الخليج ممرا مائيا حيوي يربط المنطقة بالإمبراطورية البيزنطية من ناحية والشرق من ناحية أخرى.

كانت منطقة الخليج متأثرة بموقعها الجغرافي الذي يمثل رابطا ما بين الشرق والغرب، طريقا للهند والشرق الأقصى ومدخلا للعراق والشرق، وبالإضافة لذلك فقد كانت غنية بالمرافئ الطبيعية التي كانت وما تزال ملاذا للسفن الحربية والتجارية. وفي التاريخ المعاصر كان طريق الخليج هو الطريق التجاري العالمي الأكثر أهمية وأدى ذلك لتنافس ما بين قوى مختلفة للسيطرة عليه وإحتكار أسواق الهند وجنوب شرق آسيا وساحل أفريقيا، إن شعب الخليج بالإضافة لممالك شمال أفريقيا نجحوا في إحتكار نقل منتجات هذه المنطقة لسواحل البحر الأبيض المتوسط، وعندما أكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح في أواخر القرن الخامس عشر، أعتبر أن ذلك سوف يلغي الطرق القديمة للتجارة بما في ذلك طريق الخليج ليكون التركيز في التجارة ما بين الشرق والغرب على الطرق المكتشفة حديثا.

من أجل جعل هذا الحلم واقعا، نجح البرتغاليون في تأكيد سيطرتهم على الهند سنة 1500 وعينوا نائبا لملكهم هناك، وعليه قامت بإرسال حملة بحرية كبيرة سنة 1507 للسيطرة على مداخل الخليج العربي ونجحت الحملة في إحتلال مناطق واسعة من عُمان وساحل ما يعرف اليوم بالإمارات ، هزم بالإضافة للبحرين، القطيف ومناطق أخرى.

مع ذلك فإن إحتلال الإمبراطورية البرتغالية لم يدم طويلا حيث كان يحل في داخله أسباب فناءه، ففي النصف الثاني من القرن السادس عشر إندلع العصيان ضدها في مختلف المستعمرات وتلقت ضربة قاصمة بنشوء دولة اليعاربة سنة 1624 في عُمان ، والتي نجحت في إزالة مواقع الوجود البرتغالي في الخليج وسواحل شرق أفريقيا.

جاء تحرير الخليج من البرتغاليين بموجات جديدة من القبائل في شرق الجزيرة العربية وُعُمان، وعم الإستقرار المنطقة بعد فترة من الإضطراب والفوضى، وبدأ العرب هجرتهم من المناطق الداخلية إلى السواحل مستأنفين أنشطتهم البحرية القديمة في الملاحة، والتجارة وصيد الوؤلؤ.

ظهرت على سواحل عُمان قوتين جديدتين في منتصف القرن الثامن عشر مستغلة حالة الفوضى التي إجتاحت عُمان بعد تدهور دولة اليعاربة، سيطرت فارس على بعض مناطق عُمان وإنتشر القتال الداخلي الذي إنتهى بظهور آل بو سيد بقيادة أحمد بن سيد، الوالي (حاكم) صحار، في منتصف القرن 18 والذي كرس نفسه لدفع الفرس لخارج عُمان وتأمين الوضع الداخلي في عُمان، وهكذا تمكنت هاتين القوتين وتدرجيا من تحقيق الإستقلال لُعمان.

كانت القوة الأولى بحرية تتكون من تحالف من القبائل بقيادة القواسم الذين حولوا رأس الخيمة لمركز قيادة عامة وإمتد تأثيرهم ليشمل جذر ومرافئ عديدة في جزيرة العرب وسواحل فارس مثل لنجا، شيناس، قاشام ومناطق أخرى، وتقلقوا حتى السواحل الجنوبية لجزيرة العرب التي تطل على البحر الأحمر.

القوة الثانية كانت أيضا تحالفا من القبائل يسمى تحالف بن ياس بقيادة آل بو فلاح وهم جدود آل نهيان حكام إمارة أبوظبي والذين حولوا الظفرة إلى مركز قيادة عامة وشمل تأثيرهم السواحل من دبي إلى خور العدايد وجنوب قطر، وفي عام 1761 تم إكتشاف الماء في جزيرة أبوظبي مما جعل بني ياس يستقرون هناك ويزيدون من عدد سكان الجزيرة.